# أشهر الكبائر

ملخص المحاضرة الثالثة عشر

علاء حامد
Alaa Hamed

# الظلم ظلمات

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد، أهلًا ومرحبًا بكم في لقاء جديد مع هذه السلسلة الطيبة المباركة، نرجو من الله عز وجل بعد هذه الرحلة أن نكون قد فهمنا مقصدنا من هذه السلسلة، كبيرة هذه المحاضرة هي كبيرة عامة ومن أعظم الكبائر وتندرج تحتها فروع قاسية وصعبة جدًا وهذه الكبيرة أهلكت أمم وأفراد وهذه الكبيرة خصوصًا أسرع الكبائر عقوبة عند الله تعالى سواء في الدنيا والآخرة، صاحبها عند الله ملعون ولا يوفقه الله لأي شيء، وهي كبيرة الظلم.

## كبيرة الظلم

قالوا الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وهذا تعريف جميل لأن بعض الناس يعتبر الظلم هو الضرر فقط، لا شك أن هذا من الظلم ولكن التعريف الأول صحيح، وأكبر الظلم هو الشرك، ولن تجد معصية ذُكرت في القرآن مثل الظلم لتعلم سرعة تنفيذ العقوبة على أي ظالم .

قال تعالى:- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥) ﴾

ربنا سبحانه وتعالى بَيّن حال الظالم يوم القيامة .

الظلم هو أساس الندامة يوم القيامة وهذا الأمر لا يتجاوزه الله لأحد **خاصةً إذا كان هذا الظلم متعلق بحقوق العباد**، فيجب عليك قبل الموت أن تتوب توبة شديدة وتؤدي الحقوق إلى أصحابها، فإنك ستقابل هذا المظلوم يوم القيامة فإما الله عز

وجل يتركك له يقتص منك أو الله عز وجل يرى منك صدق في التوبة فيجعل لك مخرجًا، فالذنب بينك وبين الله أهون من الذنب الذي بينك وبين العبد.

كان يقول **سفيان الثوري** -: **لأن ألقى الله تعالى بسبعين ذنب بيني وبين الله أهون عليَّ من أن ألقاه بذنب واحد بيني وبين العباد**

كبيرة الظلم في السنة تجد بها عناية شديدة جدًا، ففي الحديث القدسي:- **"يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينَكم محرَّمًا فلا تَظالموا"**

وفي الحديث:- **"إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُملي للظَّالِمِ، فإذا أخَذَه لَم يُفلِتْه، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وكَذلك أخذُ رَبِّك إذا أخَذَ القُرى وهي ظالِمةٌ إنَّ أخذَه أليمٌ شَديدٌ ﴾ "** .

فضع تحت يُملي ألف خط، فهذه سنة من سنن الله تعالى، فمن الممكن أن الله عز وجل يُملي للظالم سنين كثيرة والمظلوم يظل يدعي ولا يحدث أي شيء، ولكن جملة حتى أخذه ستحدث لا محالة .

والله عز وجل قال على مؤمن آل ياسين:-**﴿وَما أَنزَلنا عَلى قَومِهِ مِن بَعدِهِ مِن جُندٍ مِنَ السَّماءِ وَما كُنّا مُنزِلينَ﴾** [يس: ٢٨].

فكان لا بد أن يموت أولًا قبل حدوث أي شيء، فمن الممكن أن يموت المظلوم دون أن يرى أي شيء حدث للظالم، فمن الممكن أن يعجل حقك في الدنيا ومن الممكن أن تموت قبل أن ترى أي شيء، ولكن هذا لا يفرق معك فكل حق لك ستأخذه يوم القيامة، فالعدل هو مجموع الدنيا والآخرة، فقد تأخذ حقك في الدنيا وقد تأخذه في الآخرة.

وفي حديث أبي هريرة -: **"مَن كانَت عِندَه مَظلِمةٌ لأخيه فليَتَحَلَّلْه مِنها؛ فإنَّه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا دِرهَمٌ، مِن قَبلِ أن يُؤخَذَ لأخيه مِن حَسَناتِه، فإن لم يَكُنْ له حَسَناتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئاتِ أخيه فطُرِحَت عليه"** .

فحقوق العباد صعبة، فنسأل الله السلامة والعافية .

## من أنواع الحقوق

إذا كانت الحقوق متعلقة بالبدن فهذه مشكلة كبيرة كالقتل، فمن الممكن أن تؤدي القصاص وتعطي حق القتيل ولكن يظل يوجد مقتول لا تستطيع أن تسترضيه وتطلب منه أن يسامحك، فتحتاج إلى فعل خير وأعمال صالحة كثيرة جدًا في الدنيا.

أما الجراحات فمكن أن تنتهي إما بالعفو أو بالديات.

ولو متعلق بمال كأكل مال اليتيم تنتهي أيضًا بالعفو أو بالمال .

أما الحقوق المعنوية تحدثنا عنها في درس الغيبة كأن تغتاب أو تسب أو تسخر ، أما السب فيجب عليك أن تعتذر للشخص وتسترضيه ولكن الغيبة فيها قولان لأن الشخص لم يعلم أنك أغتبته، فإن كنت تضمن العاقبة عندما تعتذر له فقل له واطلب منه العفو، أما إذا غلب على ظنك أنه سيحدث مفسدة فلا تقل له واستغفر له واذكره بالخير وتفعل له صدقات.

فلماذا شخص يضع نفسه في هذا الموضع؟ فرد المظالم مأزق بالفعل، فقبل أن تفعل ذلك فكر في عاقبة الشيء الذي تفعله، ويكفيك قول النبيﷺ:- **"إياك ودعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب تُرفع إلى عنان السماء ويقال لها:- لأنصرنكي ولو بعد حين."**

## من أقوال السلف في مسألة الظلم

- **طاووس اليماني** دخل على هشام بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان فطلب منه موعظة، فقال له طاووس اليماني -:**اتقِ يوم الأذان، فقال هشام بن عبد الملك:- وما يوم الأذان؟ قال:- قول الله تعالى** -:﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، فصُعق هشام، فقال له طاووس:- **هذا ذل الصفة فكيف بالمعاينة** أي أنت حدث لك هذا عندما سمعت فقط فكيف حال من يكون من هؤلاء يوم القيامة.

فتخيل كيف شعور الظالم عندما يسمع هذا الأذان؟

- **مأمون بن مهران** يقول -:**يحذر أحدكم أن يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه وهو لا يدري، فيكون يقرأ قول الله تعالى** -:﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾، **وهو أحد الظالمين.**
- بكي **عليّ بن الفضيل** يومًا **فقيل له:- ما يبكيك؟ قال:- أبكي على من ظلمني إذا وقف غدًا بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة.**
- **قال أحد السلف** -:**لا تظلمن الضعفاء فتكن من شرار الأقوياء.**

دائمًا أصعب ظلم هو ظلم الضعيف فليس له إلا الله عز وجل.

- لذلك قال **معاوية بن أبي سفيان**:- **إني لأستحي أن أظلم من لا يجد عليَّ ناصرًا إلا الله.**

**إياك ومن ليس له إلَّا الله**

## من عقوبات الظلم

- **الظالم عند الله أموره كلها تتعقد ولا ييسر له الهداية طالما لديه هذه المظالم ولا تُيسر له أمور أبدًا.**
- **يحرم الظالم من الشفاعة يوم القيامة** فليس له أي شفيع.
- **فضلًا أن الظلم يستجلب على الظالم اللعنات والعقوبات.**

يروى أن رجلًا من أهل الكتاب قال لابن عباس رضي الله عنهما:- إن في التوراة من يظلم يُخرب بيته، فقال ابن عباس:- وهذا أيضًا عندنا في القرآن، ﴿**فَتِلكَ بُيوتُهُم خاوِيَةً بِما ظَلَموا إِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَعلَمونَ**﴾ [النمل: ٥٢].

## أنواع الظلم ودرجاته

**النوع الأول:-** بلا شك عندما نتحدث في الظلم لا ننسى أبدًا إن من أهم أنواع الظلم **هو الظلم الذي بين العبد وبين الله عز وجل،** ومن أشكاله وأنواعه -:

- **١الشرك، الكفر، النفاق،** فلا شك أن هذا أسوء أنواع الظلم، فهو سبحانه وتعالى خلقك وأنت تجعل له ندًا، وهذا أعظم أنواع الظلم.

لذلك لما قرأ النبيﷺ على الصحابة **﴿الَّذينَ آمَنوا وَلَم يَلبِسوا إيمانَهُم بِظُلمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُهتَدونَ﴾** [الأنعام: ٨٢]، الصحاب فهموا الظلم على أنه الظلم بين العبد والعبد وبين العبد ونفسه، وقالوا لرسول اللهﷺ:- **"أيُنا لم يظلم نفسه يا رسول الله؟ فقال لهم -:ليس هذا، أن تسمعوا قول الرجل الصالح"إن الشرك لظلمٌ عظيم"**

- **٢الصد عن سبيل الله،** كمنع الدعوة ومنع الخير والسخرية من الصالحين.

- **٣الإعراض عن آيات الله عز وجل.**

قال الله عز وجل -:**﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعرَضَ عَنها وَنَسِيَ ما قَدَّمَت يَداهُ إِنّا جَعَلنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهوهُ وَفي آذانِهِم وَقرًا وَإِن تَدعُهُم إِلَى الهُدى فَلَن يَهتَدوا إِذًا أَبَدًا﴾** [الكهف: ٥٧] .

- **٤ومن أعظم الظلم الذي بينك وبين الله تعالى أنك تعلم حكم الله تعالى وتحكم بغير ما أنزل الله،** وهذا قد يحدث بين الحكام وبين الأفراد وبين المجالس التشريعية، فينبغي على الإنسان ألا يحكم بغير ما أنزل الله ولا يرضى بذلك.

إذا حكم بغير حكم الله ولكن اتبع هواه ويعلم أن حكم الله هو الأفضل **فهذا شرك أصغر.**

إذا حكم بغير حكم الله ويرى أن هذا أفضل من حكم الله أو مساوي له أو يرى أن حكم الله هو الأفضل ولكنه غير ملزم أو رضي بذلك **فهذا ينقل الإنسان للشرك الأكبر.**

٥ **الكذب على الله،** فهذا بلا شك من الظلم.

**النوع الثاني:- الظلم الذي بين العبد والعبد،** فمن أمثلتها كثيرة جدًا ولكن سنأخذ منها ما هو متعلق بالمظالم الاجتماعية مثل الأسرة لأنها أهم دائرة-:

١ **عقوق الوالدين** وهذا أسوء ظلم ممكن تفعله في حق بشر.

٢ **ظلم الآباء للأبناء،** فبعض الآباء يظنون أنهم من حقهم أن يظلموا أبنائهم مثل السب والضرب الشديد جدًا سواء للأبناء أو الزوجة، فالشرع أباح الضرب التأديبي لا التعذيبي.

**الضرب في الإسلام هو أسلوب للتأديب والهدف منه إيلام الشخص نفسيًا لا بدنيًا** ليشعر بشناعة الشيء الذي فعله، ولكن هذا الضرب لا بد ألا يفعل أي أثر في الجسد ولا يكون ضرب فيه غضب، فالضرب الشرعي مبني على ناس سوية لا يتم ضربهم من الأساس لأن العقاب يكون متدرج ويبدأ من أقل شيء، فهؤلاء النوع من البشر النظرة توجعهم والكلمة توجعهم فإذا تم ألف هذا العقاب نبدأ بدرجة الصوت العالي والزعيق، فأنت تكون هذا بنيت أبناءك على الكرامة، فبعد فترة كبيرة من الزمن لو فعل مثلًا الطفل أمر قوي وأنت تريد أن تأدبه فتقوم مثلًا بخبطه على كتفه أو قرصه، فيشعر أنه فعل جريمة وتترك في نفسه أثر كبير.

فتجد علماء الفقه يقولوا ولا يضربه وهو غضبان.

فما تجاوز ذلك يكون حرام.

ومن الظلم أيضًا التفريق بين الآبناء وأحيانًا يكون يوجد بعض التعند في معاملة الآباء للأبناء ويستغل أمر البِر لكي يذل ابنه.

٣ **الظلم بين الأزواج.**

من ذلك ظلم الزوج للزوجة في النفقة أو الضرب الشديد أو السب المستمر أو يكون الزوج متزوج بأكثر من زوجة ولا يعدل بينهن.

من ذلك أحد الأزواج يقوم بإفشاء سر البيت.

ومن الظلم الخيانات.

الظلم الذي يحدث بعد الطلاق.

فالتقوى تكون في الطلاق وليس الزواج.

فيكون يوم القيامة الحساب شديد.

**٤ الظلم الذي يحدث في المواريث.**

النبيﷺ قال:- **"إِنِّي أُحَرِّجُ عليكم حقَّ الضعيفينِ : اليتيمُ ، والمرأةُ."**

فكل ما كان المظلوم أضعف فكل ما ينتصر الله عز وجل له أقوى.

**النوع الثالث:- ظلم الإنسان لنفسه** وهذا أمثلته كثيرة مثل إنك أطلقت البصر فأنت لم تظلم أحدًا بل ظلمت نفسك.

## وفي ختام المحاضرة

ونقول في النهاية لكل ظالم احذر من دعوة المظلوم لأن النبي ﷺ قال:-**" اتقِ دعوة المظلوم لأنه ليس بينه وبين الله حجاب"**

كان أحد الملوك في أحد الأزمنة يدعى **خالد بن يحيي** وكان ظالمًا وفي آخر حياته دخل السجن هو وابنه وعاشوا بقية حياتهم هناك، فقال له ابنه:- **يا أبتي بعد العز والملك والأمر والنهي كيف صرنا إلى هذه الحالة؟ فقال:- يا بني لعلها دعوة مظلوم سارت في جوف ليل غفلنا عنها ولم يغفل الله تعالى عنها.**

وقال **يزيد بن حاتم** -:**والله ما هبت شيئًا قط هيبتي رجلًا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلَّا الله وأعلم أنه يقول حسبي الله ونعم الوكيل بيني وبينك الله.**

يقول **ابن القيم** مقالة رائعة جدًا، فيقول:- **سبحان الله كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة واحترقت كبد يتيم وجرت دمعة مسكين، كلوا وتمتعوا قليلًا إنكم مجرمون، ما أبيض لون رغيفهم حتى أسود لون ضعيفهم وما سمنت أجسامهم حتى انتحلت**

**أجساد من ظلموهم، لا تحتقر دعاء المظلوم فشرَرُ قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك، ويحك نبالُ أدعيته مصيبة وإن تأخر الوقت، قوسه قلبه المقروح ووتره سواد الليل وأستاذه صاحبُ لأنصرنكي ولو بعد حين، وقد رأيت ولكن لست تعتبرُ، احذر عداوة من ينامُ وطرفه باكٍ يقلبُ وجهه في السماء يرمي سهامًا ما لها غرضٌ سوا أحشاءك، فتتبع بمنقاش العدل شوك الظلم من أيدي التصرف.**

ويكفينا قول النبيﷺ وهو خارج من بيته فيقول:- **"اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِك مِن أَن أضِلَّ أو أزِلَّ أو أظلِمَ أو أُظلَمَ أو أجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ."**

**جزاكم الله خيرًا**

**سبحانكَ اللهمَّ ربنا وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرك وأتوبُ إليك.**